الفصل الثاني
(بعض المشاكل الاجتماعية)

من رحمة الله عز وجل أن أنزل الشريعة الإسلامية خيراً وهدىً لهـذه الأمة ، وإن تطبيق هـٰذه الشريعة من شأنه أن يحقق السلامة والأمن والكمال في شتى مجالات الحياة ، ولا سيما في الحياة الاجتماعية ، فإذا نظرت للسمو الذي وصل إليه السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان في شتى المجالات ـ ولا سيما المجال الاجتماعي ـ علمت مدى صلاحية الشريعة الإسلامية للنهضة بالأمة ، ولا سيما عند المقارنة مع الحضارات الأوروبية وغيرها ، ومدى التدهور الاجتماعي الذي وصلت إليه مجتمعاتهم نتيجة تطبيقهم شرائع لا تسمن ولا تغني من جوع ، فمن أجل ذلك حرصت على تقديم لمحات من شأنها أن تسلط الضوء على هـٰذه الحقائق فكتبت هـٰذا الفصل .

ويشمل المباحث الآتية :

المبحث الأول : غياب الأب .

المبحث الثاني : مشكلة الانتحار .

المبحث الثالث : بعض الانعكاسات الأوروبية على واقعنا العربي .

* * *

المبحث الأول

(غياب الأب)

لقد عانت المجتمعات الأوروبية والأمريكية كثيراً ، ومازالت تعاني من هـٰذه السياسة الاجتماعية التي تنتهجها في حياتها ، ومن أمثلة ذلك ظاهرة خطيرة سيطرت على المجتمعات الأوروبية ، وهي فرار الأزواج من بيوت الزوجيَّة. فلقد أعلنت جهة متخصصة في الولايات المتَّحدة الأمريكية عام ١٩٥٢ م ، أنَّ عدد الأزواج الذين تخلّوا عن بيوتهم وفرّوا من زوجاتهم يُقدّر بـ سبعين ألف رجل[١] من نسبة السكان التي تقدّر بـ ١٢٠ مليون نسمة ، وقد غدت الأسر الصغيرة ظاهرة طبيعية في هـٰذه البلدان ، فليس من العجيب أن ترى أسرةً مكوَّنةً من أمٍّ وأطفالها ، ولا وجود فيها للأب!.

إنَّ هـٰذه القواعد والقوانين الاجتماعية التي شرعتها الحكومات الأوروبية عادت بالدمار على بلدانها وعلى أبنائها.

ولنسأل أصغر متخصص في علم التربية: كيف تتوقع أن يكون مستقبل أطفالٍ بلا أب؟.

إنَّ الله عز وجل جعل للأب دوراً في أسرته ، وجعل للأمِّ أيضاً دوراً في أسرتها ، ولا يمكن أن تقوم الأم بدور الأب ولا يمكن أن يقوم الأب أيضاً بدور الأم. وهـٰذا الكلام يقال عندما يكون الأب إنساناً سويّاً ، ملتزماً ومستقيماً يحسن إلى أبنائه.

أمَّا إذا كان إنساناً سيئاً مريضاً ، شديد الانفعال على سبيل المثال ، أو لا يتحمَّل أي نوع من أنواع المسؤولية ، أو قد غرق في لذاته وعربدته فلا يمكن

---

(١) مجلة الحضارة: المجلد الثاني ص: ٩٦٠.

أن يكون هـٰذا الأب عاملاً إيجابياً في هـٰذه الأسرة بل سيكون حتماً عاملاً مدمِّراً.

بإمكانك أن تتصور هذا المجتمع الذي سيخرِّج نماذج من الآباء والأمَّهات الذين على هـٰذا الشكل! ولا يخفى على عاقل الأثر السلبي لاندماج المرأة بالعمل، من فساد خلقي، بالإضافة إلى البطالة التي سيعاني منها الذكور، ولكن لا نستطيع أن نوجِّه أصابع الاتِّهام للمرأة، بل يجب في حقيقة الأمر أن نوجِّه أصابع الاتِّهام إلى من يقوم بتطبيق الشريعة الإسلامية في بلداننا العربية.

فلا أعتقد أنَّ هناك نسبةً كبيرةً من النساء يتحقق لهن دخل جيد، وزوج مؤمن، وبيت مستقر، وتسعى حثيثةً لتخرج وتعاني مكابد ومصاعب العمل.

فليس العمل تسليةً كما يظنّه الكثير من الناس، ولكن في حقيقة الأمر أن كثيراً من الرجال قد تخلّوا عن مسؤولياتهم الشرعية، فغدت المرأة بحاجة حقيقية إلى العمل، من أجل أن تؤدي نفقاتٍ أساسيةٍ لها ولأسرتها الصغيرة، لا سيّما في تلك الأسر التي لا يبالي الأب في غالب الأحيان بمتطلَّبات أطفاله.

فلا تجد المرأة في هـٰذه الحالة بدّاً من الخروج إلى العمل، وتحمُّل أعباء جديدة بالإضافة إلى أعبائها الأصلية.

وإذا نظرنا إلى القضاء الشرعي فنجد أنَّه يحدد مبلغاً سخيفاً كنفقةٍ للمرأة وأطفالها لا يكاد يكفيهم قوت الخبز فقط.

وفي ظلِّ هـٰذا التعسّف القضائي لا نستطيع أن نطلب من المرأة أن تجلس في دارها معززةً مكرَّمةً وتعاني هي وأطفالها من آهات وآلام الجوع.

بل يجب في بداية الأمر أن يقوم القضاء بمهمّته التي أناطها الله به، ومن ثم نطالب المرأة، بعد أن نكون قد أمَّنا لها استقراراً مادياً وأسرياً، أن تعود إلى أسرتها وتستقرَّ في بيتها وتستغني عن العمل.

إنَّ العمل في الشريعة الإسلامية أمر مباح، وليس بالأمر المحرَّم، وهـٰذا موضوع سأورده إن شاء الله فيما يأتي.

ولكن من المعلوم أنَّ بقاء المرأة في دارها ، وتفرّغها لأطفالها وبيتها وزوجها ، أمر جيد ومستحسن شرعاً ، بل ومندوب إليه ، ولا سيما عندما تتوافر جميع الظروف الاجتماعية والمادية ، التي تحقق لهـذه المرأة الاكتفاء والراحة .

ويجـب أن لا نعتقـد أن المـرأة الأمـريكيـة والأوروبيـة سعيـدة ومتمتِّعـة بخروجها إلى العمل ، بل إنَّها تتمنى أن تكتفي مادياً وتعود لتستقرَّ في أسرتها وتضمَّ فراخها .

لقد أصدر معهد غالوب[1] دراسةً إحصائيَّةً تفيد بأنَّ ٦٥٪ من نساء الولايات المتَّحدة الأمريكية يحلمن بترك العمل والعودة إلى منازلهن ، ولكن نتيجة للظروف الاجتماعية وتخلّي الرجال عن واجباتهم تجاه هـٰذه الفئة ، غدت المرأة مضطرةً إلى ذلك[2] .

فيجب ألا يتوهم السُّذَّج أن المرأة الأمريكية والأوروبية متمتِّعةٌ بما أجبرت عليه بالخروج إلى العمل ، وكيف لها أن لا تخرج إلى العمل ، والأب لا يتكفَّل بنفقتها ، والزوج ليس مسؤولاً عن بيته ، والأخ لا يعرف أخاه ، بل إنَّ الابن لا يعرف أمَّه وأباه؟!

مثل هؤلاء العملاء كمثل الذي ينزع من بين يديك دجاجةً مشويةً مصليةً ، ويضع بين يديك جرذاً مسلوقاً ويقول لك: لقد عوَّضتك طعاماً خيراً من طعامك!

لقد أجريت إحصائية في ألمانيا بين السيّدات[3]، فأجمعن على أنَّهن يتمنين ترك العمل والعودة إلى منازلهنَّ لرعاية أطفالهنَّ ، وأنَّ ذلك يحقق لهنَّ استقراراً نفسياً وسعادةً روحيَّة .

هـٰذا ما نتج عن الاستفتاء للنساء المتزوِّجات العاملات في ألمانيا ، أمَّا

---

(١) غالوب: معهد لدراسة الإحصاءات الاجتماعية وتوجه الرأي العام في أمريكا .

(٢) المرأة بين الفقه والقانون: للدكتور مصطفى السباعي ص: ٢٦٠ .

(٣) المرجع السابق .

النساء العوانس في ألمانيا فقد أجمعن أنَّهن كن يتمنين أن يتزوَّجن ولا يصلن في عملهنَّ إلى رتبٍ رفيعة.

وقد اعترفن أن الرتب الرفيعة والمناصب المغرية لم تغنِ شيئاً، ولم تمحُ التعاسة التي يشعرنَ بها[1].

إن المجتمعات الأوروبية تعاني معاناةً حقيقية، فلا يخفى أنَّ هٰذه المجتمعات التي لا تسودها قيم دينية، ولا ضوابط أخلاقية، بالإضافة إلى شيء يسمونه بتحرر المرأة، قد أدى إلى فسادٍ وأيّ فساد!.

فانتشار الإيدز في المجتمعات الأوروبية والأمريكية غدا انتشاراً جبَّاراً، بحيث إنَّه يهدد القارّة بأكملها، وليس الأمر بغريب، فليس من المنطقي أن لا تفكّر فتاة مراهقة في السادسة عشرة من عمرها تريد أن تتوجَّه إلى مدرستها، كيف سينظر زميلها إليها، وهل حمرة الشفاه ستعجبه، وهل هٰذا الكحل سيناسب ذوقه، وهل قصة الشعر ستكون مثيرةً أم غير مثيرة؟

هٰذا شعور طبيعي تشعر به المرأة، فتأتي العقيدة والضوابط الاجتماعية فتخفف ذلك الشعور، فتجعله ضمن ضوابط المصلحة الاجتماعية، أما في تلك المجتمعات فلا ضوابط ولا قواعد ولا عقيدة، وهٰذا الأمر ذاته ينطبق بالنسبة إلى المرأة التي تخرج إلى العمل، فإنها تنفق أغلب راتبها على زينتها وملابسها وقصَّاتِ شعرها.

وعندما يكون الأمر كذلك فماذا تتوقَّع من الرجل إلا أن يزداد حيوانيةً، فتشتعل ثورته ويحاول أن ينقضَّ عليها، ثمَّ يغدو المجتمع أمامك وكأنَّه حظيرة من الخنازير، لا يعرفون فيها طهارةً ولا فضيلة. ولقد حذر عقلاء أوروبا من هٰذه النتائج في بدايات الحملات الأوروبية المترتبة على انفتاح المرأة؛ كما يسمّونه.

فجاء على لسان الفيلسوف الألماني شومن هور: (اتركوا للمرأة حريَّتها الكاملة دون رقيب، ثمَّ قابلوني بعد مائة عام لتروا النتيجة، ولا تنسوا أنَّكم

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون.

سترثون حينئذ الفضيلة والعفة والأدب ، وإذا متّ فقولوا : أخطأ أم أصاب)[1] .
لقد عانت المجتمعات الأوروبية من ذلك ومازالت تعاني ، وهـٰذه مصيبتهم .
فلِمَ تصدَّر هـٰذه المصائب من أوروبا إلى شرقنا الإسلامي؟ .

وقد لمست الكثير من الهيئات الأوروبية خطورة الخطِّ الجارف الذي يسير في مجتمعاتهم ، فأصدرت جمعيَّة إيطاليَّة تعميماً بلباسٍ محتشمٍ للمرأة ، فأمرت أن ترتدي المرأة لباساً غير شفاف ولا ملتصقاً بالجسم يستر المرافق وينزل كثيراً عن الرُّكب ، بل حتى إنَّها أوصت أن يكون لون الجوارب بعيداً عن لون الجلد[2] .

فلنتساءل ما هي الدوافع التي دفعت هـٰذه الجمعية الإيطالية في مجتمعٍ علماني إلى إصدار مثل هـٰذا التعميم؟! .

نعم لقد كانت الدوافع متعددة: انتشار الأمراض ، وانتشار الأوبئة ، وتفشي الجريمة وعمليَّات الاغتصاب ، وعمليات الاعتداء على الأطفال والشذوذ الجنسي ، وتحطّم الأسر وتمزّق البنية الأسرية الزوجية وغير الزوجية .

كل تلك الأسباب كانت دافعةً لهـذه الجمعية الإيطالية الصادقة مع نفسها إلى إصدار مثل هـٰذا التعميم .

ولا أقول إلا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فلم يقرأ هؤلاء الأوروبيون قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

ولم يقرؤوا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

لقد تحقق الكثير من أهداف هؤلاء العملاء الذين صدَّروا هـٰذه المصائب إلى بلادنا ، فغدونا نرى ونشاهد ما هو أدهى من ذلك في شوارعنا ومدننا وأمام مساجدنا ومدارسنا . لقد غدت الحدائق العامة مجمَعاً للعاهرات والعاهرين ،

---

(١) مجلة الفتح في عددها الصادر في يوليو عام ١٩٢٧ م .
(٢) مجلة حضارة الإسلام : المجلد الثاني ص : ٦١٩ .

وتحوَّلت أبواب المدارس إلى ملتقى للعشاق والمتعانقين والفجرة ، وما يزداد الأمر إلا سوءاً ، وما تزداد الأمة إلا تنكّساً وهزيمةً وانحطاطاً. وصدق عزَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فماذا نصنع نحن إذا كان المنكر يعيش معنا وبين أظهرنا نتلقفه في مدارسنا وكتبنا وفضائيَّاتنا!؟.

وغدا الأمر بالمعروف محجوراً وممنوعاً على أهل العلم ، فإذا نطق أحدهم بمعروف حوسب حساباً عسيراً ، بل وربما نُكِّل به وبأسرته.

إنَّ هؤلاء العملاء يحلمون أن تكون نساؤنا العربيات المسلمات كنساء أوروبا. وإليك هٰذه الإحصائية وذلك النموذج الموثَّق عن نساء أوروبَّا:

لقد نشرت مجلَّة «حضارة الإسلام» ما يلي:

(جاء في التقرير السنوي لوزارة الداخلية البريطانية أنَّ عصابات النساء والمراهقات ازدادت زيادةً خطيرةً بحيث غدت تهدد الأمن العام ، فقد ألقي القبض على ٧٤٢٠٠٠ فتاة وسيِّدة خلال العام الماضي بتهمة السطو والسرقة ، و٢٠٠٠٠ فتاة تحت سن العشرين بتهمة الدعارة والتسكّع والتحريض على الفسق ، وجاء في التقرير أنَّ ٢٦٨٠ فتاة تحت سن الثامنة عشرة دخلن السجن بتهمة السرقة بالإكراه ، وقال هٰذا التقرير: إنَّ لندن غدت مهددة من عصابات النساء ، ونسبوا هٰذا الأمر إلى أنه يرجع إلى الحريَّة المفرطة التي منحت للمرأة ، بالإضافة إلى برامج التلفزيون المهدِّمة والمدمِّرة ومراكز اللَّهوِ والخمر).

إنَّ هؤلاء البريطانيين لم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

ولم يقرؤوا قوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

فلو فرضت هـٰذه الشريعة لتطبَّق في لندن لأحجمت ٩٥٪ من النساء والفتيات عن السرقة خشية من هـٰذه العقوبة.

* * *

المبحث الثاني
(الانتحار)

لا يخفى على منصف نسبة العقوق الهائلة ، ونسبة الانتحار التي انتشرت في الدول الأوروبية والأمريكية ، فقد غدا العقوق ظاهرةً طبيعيَّة ، وأصبح البرّ ظاهرةً شاذةً لا وجود لها إلا في حالات نادرة.

ولقد طالعتنا الأخبار منذ فترة قصيرة بأنَّ هناك جيراناً اشتكوا من رائحةٍ نتنة ، ويبدو أنَّها رائحة جيفةٍ قد تعفَّنت ، فما كان منهم إلا أن اتّصلوا بدوائر الأمن ، وعندما جاؤوا إلى المكان وقاموا بكسر الباب ، وجدوا جثَّة رجلٍ مسنٍّ قد تعفَّنت ، ومضى عليها عشرات الأيَّام ، ثم علموا أنَّ لهـذا المسن أربعة أو خمسة أبناء ، لم يعلم أحد منهم بموته ، لأنهم لم يهتمّوا به يوماً ولم يسألوا عن حاله أكانَ حيّاً أم أصبح بين الأموات؟!

ولقد جاء في نص رسالة لفتاة أوروبية توجّه خطاباً إلى أهلها ، الكلام التالي:

(في مستهلِّ رسالتي أخبركم أنِّي استلمت رسالتكم ، ويؤسفني أن أخبركم أنَّ نفسي عازفة عن معرفة أي شيء عنكم ، وكل ما أطلبه منكم هو أن ترسلوا لي أغراضي ، وأن لا تحاولـوا الاهتمـام بي ، فما أعملـه ليس لكم بـه شأن ، وذلك لأنَّه لو كان الموضوع يتعلَّق بحاجاتي فلا أجد منكم سوى تململٍ وعزوف ، لماذا تكتبون لي أنَّكم مرضى وأنَّكم ضعفاء أنا؟! لا يهمّني هـذا ، واعلموا أنني لو رأيتكم في حالة النِّزاع فلا تحلموا آنئذٍ بجرعة ماء مني ، أشعر أنِّي مبغوضة من كلِّ مكان ، ولقد سمعتكم كثيراً تقولون: إنني عقبة في طريقكم ، وأنَّـه يحسن أن تقتلوني ، وعلمـت أنَّكم تمنيتم موتـي إثـر حادثـة

الاصطدام التي وقعت بي. سأفعل ما يدهش الجميع ، ويحرركم ويتيح لكم الفرصة أن تختاروا إنساناً آخر ، فعلى كلّ حال يجب أن يقام بعمل لا يراعي الإنسان فيه شيئاً ، إنني سأنتقم منكم جميعاً)[1].

ولا تستغرب عندما تعرف أنَّ هٰذه الفتاة قد قامت بالانتحار ، ككثير من مثيلاتها ، والتي غدا الانتحار لهنَّ حلاً للمعاناة النفسية والمادية التي يعانونها..

هٰذه نتيجة طبيعية لمجتمع لا إيمان فيه ولا عقيدةَ له ، ولا ضوابط ولا قيم أخلاقيةً تقوده وتسوده ، لا مسؤولية للآباء ولا رحمةً من الأمهات ، ولا برّاً من الأبناء والبنات ، الجميع قد انكبَّ وراء ملذاته وشهواته الشخصيَّة.

إنَّ هٰذا النَّموذج البغيض هو النموذج الاجتماعي الحقيقي لنساء أوروبَّا ورجال أوروبا وأطفال أوروبا ، وعليك أن تقدِّر درجة الحقد التي وصل إليها هٰذا العميل من أجل أن يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى تصدير هٰذه الإشكاليَّات ، ويحوِّل مجتمعه العربي المسلم إلى نموذج طبق الأصل عن هٰذه المجتمعات الضالة.

لقد غدت نسبة الانتحار في أوروبا نسبةَ عظيمة ، ولا سيَّما في الدول الاسكندنافية[2] ويجب علينا أن لا نتفاجأ من هٰذه الحالات ، فعندما يخرج طفل إلى الحياة فلا يجد أماً متفرِّغة لرعايته ، فسيكون مريضاً نفسيّاً ومختلاً عصبياً ، وستتنازعه الوساوس والأهواء والقلق والاكتئاب وعدم الاستقرار ، فهٰذه البذرة قد نشأت في هٰذه التربة الخبيثة ، فليس من الغريب أن تكون نهاية هٰذا الطفل نهاية تعيسة ، وليس من العجيب أن يقدم على إنهاء حياته بنفسه تخلّصاً من مخالفة مجتمعه لقواعد الفطرة التي فطر الله النَّاس عليها.

وليس من العجيب أن تقدم مراهقة على الانتحار ، ولا سيَّما بعد أن تتخبَّط بكثيرٍ من الغدر والخيبات ، وتعجز عن تحديد هدفٍ سامٍ في حياتها وقدوةٍ

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون: للدكتور مصطفى السباعي ص: ٢٦١.

(٢) دول شمال أوروبة (السويد ، النرويج ، الدانيمرك).

مثاليّة، ولا سيَّما عندما تكون قد نشأت في جوٍّ أقل ما يقال عنه: إنَّه سيىء في طفولتها الأولى.

ولن تجد في هـٰذا المجتمع من يأخذ بيدها إلى جادة الأمان والسلامة ، ولن تجدَ ناصحاً مخلصاً أو موجِّهاً حقيقاً يبتغي الخير ويتمنّاه لها ، بل إنَّهم كلّهم ذئاب قد لبسوا وجوه البشر ، لا يتحرَّكون إلا لمصالحهم ، ولا يندفعون إلا لأهوائهم. وليس من الغريب أن تقدم هـٰذه المرأة التي حمِّلَت أعباءً ماديّةً جسيمةً ، وأعباء نفسيَّةً وروحيَّة على الانتحار ، فقد هجرها ذلك العابث بعد أن عقد عليها أو لم يعقد عليها أصلاً ، فترك لها مجموعة من الأطفال تتحمَّل وحدها المسؤولية الكاملة عنهم ، ولا سيَّما في حال أنَّها تتمتَّع ببقايا من الشَّفقة ، وعندما تحاول تأمين متطلَّبات الحياة ، تتقطَّع بين المصنع والمنزل وبين أطفالها وشؤونها ، وبين حاجاتها ورغباتها وطموحها ، ثمَّ لا تجد تفسيراً حقيقياً لهـٰذا الكون ، ولا تفسيراً حقيقياً لمعنى الابتلاء في بلادٍ ضاعت فيها العقائد ، ففي هـٰذه الحالة ترى هـٰذه المرأة أنَّ الموت منجاة حقيقية ، فتقذف بنفسها في هاوية الانتحار ، وتنضمّ إلى قافلةٍ كثيرة العدد لا نهاية لها من مثيلاتها من المنتحرات.

ولا يستطيع أن ينكر منصف كثرة عدد هؤلاء ، ولا يقف الأمر عند النساء فقط بل إنَّه يتجاوزه إلى الرجال، فترى أيضاً أنَّ أعداداً كبيرةً من الرجال تقدم على الانتحار ، نتيجة الفراغ الروحي ، والإصابات النفسية والعصبية التي ما تولدت أصلاً إلا بسبب الخطأ الهائل والهوَّةِ العظيمة التي أسست عليها هـٰذه المجتمعات الضالة.

وربما أنَّه ليس من المألوف أنَّ رجلاً يتمتَّع بجميع أسباب السعادة الماديّة يشعر بيأسٍ وقنوطٍ شديدين ، يدفعانه إلى أن يقذف بنفسه من أعلى برجٍ في واشنطن أو نيويورك. ولكنَّ الأمر لا يحتاج إلى تفكيرٍ عميق ، فالإنسان عندما يصل إلى شتى الحاجات المادية وتحلو حياته من المنغِّصات بشكل تامٍ وكامل ، ويكون في فراغٍ روحانيّ كبير ، يعيش في تعاسةٍ وأيّ تعاسة!.

وهـٰذا هو السبب الكبير في انتحار كثير من الشباب والنِّساء في دول شمال أوروبا.

انظر بتأمّل وهدوء إلى رجلٍ مسنّ يعيش في أوروبّا ، قد هجره أبناؤه ، وقذفته الحياة وغدا يشعر بنفسه أنَّه لا وزن ولا قيمة له في هـٰذه الحياة ، وفقد كلّ أمل ، يشرب يوميّا كؤوساً وكؤوساً من الذلّ والمرارة والهوان ، ويعاني أصنافاً وأشكالاً من الوحدة والتّعاسة والشقاء.

وانظر في الصورة المقابلة إلى رجلٍ شيخ مسنّ مؤمنٍ ، قد شابَ شيبةً في الإسلام، يلتحي بلحيةٍ بيضاء ، يتّقي الله ، تنحني النّاس لتقبّلَ يده تشريفاً وتعظيما له ، قد عشق المسجد وعشقه المسجد ، فهو في كلّ الأوقات يقف في الصفوف الأولى ، تتقرّب إليه زوجته ويتحبّب إليه أبناؤه وبناته ويداعب أحفاده ، وتراه لا يهاب الموت ، ولا يعيش في حالةٍ شبه هستيريّة كما يعيش ذلك الرجل المسن الغربي ، إنّه ينتظر الموت كنتيجة حتميّة ، ويتأمّل لقاءَ طيّبا طاهرا مع ربّه ، وقد أمِن لنفسه بعد أن استقام وآمن أنَّ له جناتٍ عرضها السماوات والأرض أعدّت لأمثاله من المتّقين.

وإذا نظرتَ إلى المرأة العجوز الأوروبية أو الأمريكيّة التي لا تجد أنيسا لها إلا كلباً نجسا تداعبه ويداعبها ، ويكسر قليلاً من وحدتها ، بينما ترى مثيلاتها من النساء المسلمات في الشرق قد اشتعلت وجوههن نوراً ورحمانيّةً وضياءَ واستقراراً وطمأنينةً وبهاء ، أجمل أوقاتهن عندما يكنَّ ساجداتٍ بين يدي ربهنَّ ، وأمتع أوقاتهن عندما يتهافت إليهن أبناؤهن الرجال وبناتهن وأحفادهن ، ينحنونَ جميعاً تقديسا وتكريماً لهن ويقبّلون أيديهن ويتسابقونَ لرعاية أمورهن وشؤونهن.

وليس لي إلا أن أقول: لعنة الله على ذلك المضلِّل الذي يبذل كلَّ جهده ليجعل ذلك الشيخ التّقي ، وتلك المرأة النّقية الطاهرة في بؤرةٍ من بؤر الوحدة والشقاء والدمار ، لا تجد إلا الكلب عشيراً وصديقاً ومؤنساً.

أليس من الأكرم للمرأة أن تضاجع رجلاً تحت غطاء الشريعة الإسلاميَّة ، وغطاء المجتمع بحيث إنه يتولَّى كل المسؤوليَّات عنها نفقةً واقتصاداً وريادةً وقيادةً ، وتتفرَّغ بسعادةٍ وهناءٍ وحبّ وأمل لضمّ أبنائها إلى صدرها ، لتسقيهم من عذوبة حنانها وعطفها .

وتأمن أنَّ ذلك الزوج المؤمن ذا الأخلاق الحميدة لن ينظر هنا أو هناك أو يخالف الشريعة الإسلامية ، إنَّه سيعود في آخر النهار إليها محمّلاً بأغلب المتطلّبات التي تحتاج إليها أسرته الحبيبة ، وتضمّهم دارٌ دافئةٌ تشرق منها أنوار الإيمان والاستقرار. بينما ترى دور هؤلاء الغربيين تتراقص فيها الشياطين والأبالسة ، قد ملئت جريمةً وكآبة ، وقد انحطّ كل ما فيها إلى أسفل الدركات .

نسأل الله عز وجل أن يهلك الظالمين ببعضهم ، وأن تدور دائرة السوء عليهم ، وتسدد سهامهم إلى نحورهم ، والله مجيب عزيز .

* * *

المبحث الثالث

(بعض الانعكاسات الأوروبية على واقعنا العربي)

١ ـ لا شكَّ أنَّ ثقافة الجنس من الثقافات التي يسعى الأوروبيون إلى توسيعها ، ويطالبون جميع دول العالم أن يطبّقوها ويعلّموها في مناهج التعليم لديهم ، بل إنّهم يعقدون مؤتمرات خاصة من أجل هـٰذا الموضوع ، ويربطون المساعدات للدول العربية والإسلامية بتطبيق هـٰذه الثقافة ، والتي ـ وللأسف ـ أخذت بعض الدول العربية والإسلاميّة تسعى في تطبيقها لنيل بعض المساعدات والرضا من الدول الأوروبية والأمريكية .

وذكر لنا أستاذ جليل من على منبر للخطابة أنَّه كان يسير في ذات يوم في أحد الشوارع فاستوقفه رجل كبير في السن ، والدمع يرغرغ في عينيه وقال له :

(قد اقتنيت أنا وزوجتي فيلماً من هـٰذه الأفلام الإباحيّة التي تصنع في أوروبا ، وأعترف أن ذلك العمل عمل خاطئ ، ولكن في ذات الليالي استيقظت في منتصف الليل على تأوّهات ، فخرجت من غرفة النّوم وتوجّهت إلى غرفة الجلوس ، فرأيت ابني وابنتي يشاهدون هـٰذا الفيلم ويطبّقونه ، والمصيبة الآن أنَّ الفتاة حامل من أخيها) .

ويسأل هـٰذا الشخص عن الحل الشرعي لهـذه المشكلة ، ونتساءل : لمَ لم يسأل هـٰذا الإنسان عن مشروعيّة إدخال هـٰذا الشيطان إلى داره بدايةً؟ وهل هـٰذا عمل يرضى عنه الله عز وجل؟ قبل أن يسأل عن النتائج التي دمّرت أسرته وأضاعت شرفه .

٢ ـ في مقهى من مقاهي القاهرة تجتمع جمهرة من الشباب ، يشاهدون فيلماً إباحيّاً ، فاندسّ بينهم شاب مراهق في الثالثة عشرة من عمره ، وأخذ يشاهد هٰذه المظاهر ، ولا يخفى التأثير السلبي العظيم لهذه المشاهد على الكبار ، وما بالك إذا كان المشاهد من المراهقين؟!

فما كان من هٰذا الفتى الصغير إلا أن خرج من ذلك المقهى فشاهد فتاة في السابعة من عمرها ، فأخذ يخدعها ويجرّها من يدها حتى وقف بها في ناحية من وراء البناء ، ثمّ أخذ يعريها من ثيابها ، وعرّى نفسه من ثيابه ، وأخذ يفجر بها.

وشاء الله عز وجل أن تخرج والدة هٰذه الفتاة من شرفة بيتها ، لترى فتى قد انكبّ كالوحش الكاسر على ابنتها ، وقد عرّاها وجرّدها من ثيابها بعد أن تجرّد من ثيابه ، فأسرعت إليه وانقضّت عليه ونزعت ابنتها من بين يديه ، ولكن بعد أن ضيّعت بكارتها وبعد أن فاض منها نزيف من الدّماء.

وما كان من الأم إلا أن انهالت بالضرب المبرّح على ذلك الفتى ، ثمّ سيقَ عارياً إلى قسم الشرطة ليتم التحقيق معه في هٰذه الجناية.

٣ ـ امرأة تدّعي الحضارة والرقي والتّقدم بالتقليد الأعمى للأوروبيين ، وقد رزقها الله بثلاث بنات ، وأرادت أن تسعى في تحصيلهم العلمي ، فأدخلتهم في مدارس أجنبية مختلطة وفي نهاية العام الدراسي ، جاءت الفتيات الثلاث بدلاً من أن يحملن نتائج الامتحانات يحملنَ في أرحامهنّ أبناءً من الزنى! نتيجة الفجور الذي تمّ بينهنّ وبين زملائهن على مقاعد الدراسة. لقد تحوّلت هٰذه المقاعد من مقاعد دراسة إلى أسِرَّة دعارة ، وذلك ببركة نظرية الاختلاط بين الجنسين التي مازال كثير من الناس في البلاد يسعون إلى تعميمها وتوسيعها.

٤ ـ رجل يحتل منصباً كبيراً في الدولة ، وهو من الذين يؤمنون بالاختلاط ، يمسك بيد زوجته ويتنقّل من دارٍ إلى دار ، ومن حفلةٍ إلى حفلة ، ولا يبالي بأدنى تطبيق لأحكام الشريعة الإسلاميّة ، ولا يراعي للدين أدنى اهتمام.

وكان لهذا الرّجل ثلاثة أبناء ، وكان يستغلّ علاقاته مع زملائه ليزني

بأزواجهم ، وكان من المتفاخرين الذين يتفاخرون بهـذه العلاقات. فيجلس مع زوجته في جلساته الخاصة ويقول لها:

قد ارتكبت في زوجة فلان الفاحشة الفلانية ، وقد تعاملت مع زوجة الآخر بالطريقة الفلانية ، واقتنصت من زوجة الثالث اللقاء الفلاني وبالطريقة الفلانية.. إلخ.

فقد جعل لكلّ زميل من زملائه المتقدمين المتحضّرين الذين يتبنّون الأخلاق الأوروبية قروناً تنطلق من رؤوسهم فتبلغ عنان السماء.

وفي ذات الأيام جاءت هـٰذا المرأة إلى مكتب أحد الأخوة المحامين ، فقصّت عليه القصة التالية:

لقد تعلّق قلبها بحلاق نسائي ، وأخذت تخرج معه إلى دار ويفجر بها ، ثمّ حملت منه وأنجبت فتاة ، وأصبح عمر هـٰذه الفتاة أربع سنوات ، ولا تشعر هـٰذه المرأة بأيِّ ذنبٍ أو أدنى إحراجٍ من ذلك ، ولكن المصيبة التي تعاني منها أنّها قد أخبرت بهـذا السر إحدى جاراتها ، وهـٰذه الجارة تحاول ابتزازها من أجل أن ترسلها لتمارس الدعارة مع بعض المسؤولين لحل بعض الإشكاليات الإدارية المنتشرة في بلادنا.

فهنيئاً لهـذا الزوج وهنيئاً لهـذه الزوجة بهـذه الحضارة الأوروبية ، وهـٰذا التطبيق الأعمى لتلك القيم!

ولعلّه من انتقام الله عز وجل أن جعل ذلك الأب المخدوع الذي له ثلاثة من الأبناء يعشق هـٰذه الفتاة ويقدّمها على جميع أولاده ولا يعلم أن هـٰذه الفتاة فتاة زنى وابنة حلاق زوجته وليست ابنته. وصدق رسول الله ﷺ بقوله: «لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته»[1].

٥ ـ في ذات الليالي الباردة ، في شتاءِ قارس ، سمع عمال النظافة تأوّهات من إحدى حاويات القمامة فتوجّهوا إليها فما وجدوا فيها إلا امرأة قد انطوت

---

(١) مسند أحمد: ج٤ ـ برقم ١٨٩٦٣.

على نفسها وانطوى بعضها على بعض ، وهي تتأوّه من الألم والعطش ، وعندما جاء رجال الشرطة وانتشلوها من هـٰذه الحاوية ، وأخذوها إلى القسم وقدّموا لها ما يستطيعون من العون ، سألوا عن قصّتها فعلموا أنّ هـٰذه المرأة من عشاق الحضارة الأوروبية والغربية ، ولها خمسة من الأبناء والبنات ، ولقد بذلت قصارى جهدها في تربيتهم تربيةً أوروبيةً تليق بهـذا العصر ، العصر الذي تراه هـٰذه العجوز الشمطاء عصر التقدّم والحضارة والتّقنية ، ولكن ما كان من هؤلاء الأبناء إلا أن طبّقوا المبادئ التي أنشأتهم عليها تلك الأم ، وتململوا منها بعد أن كبرت وعجزت ، ثمّ تنازعوا من الذي سيأخذها ، وكانت دور المسنّين ذات أسعار غالية ، فقرروا أن يكون دار أمّهم في حاوية القمامة ، وذلك كنوع من الشكر لهـذه الأم وهـٰذه المربية الفاضلة التي أنشأت أبناءها على الحضارة الأوروبية ، فقد ربتهم على الحضارة الأوروبية وقبضت الثمن من صميم مبادئ هـٰذه الحضارة .

٦ ـ جلست مع رجلٍ أقرب ما يكون إلى الإلحاد ، وهو يقدس كل ما هو غربي وأمريكي ويسعى إلى تحصيل المال ؛ لاعتقاده أن المال هو الغاية المثلى التي يسعى لتحقيقها كلّ طامح وناجح .

وكان هـٰذا الرجل قد تزوّج من امرأة ثم تركها وسافر إلى دول الخليج ليحصّل بعض الأموال ، ثم أخبرني بعد مضي سنوات أنه كان يرسل لامرأته مبالغ ماليّة ، وعلم بعد أن قدم إلى بلاده أن هـٰذه المرأة قد اتخذت عشيقاً نتيجةً لتعطّشها لحياةٍ طبيعيّة ، ونتيجة لكونه قد اختارها من ذات البيئة الأوروبية المتقدمة التي يؤمن بها صاحبنا ، وبعد ذلك اكتشف أن هـٰذا العشيق قد تململ من زوجته ، ونتيجةً لهـذا التململ عرضت هـٰذه الزوجة صلحاً مع هـٰذا العشيق ، وقالت له: استمر على الفجور بي وأعطيك نصف ما يرسله زوجي من الخليج ، وكان ذلك .

وعلم هـٰذا المغفّل أن الحضارة الأوروبية قد سلبت منه عرضه ، وسلبت منه ماله ، فكان يعمل ويكدح لينفق على زوجة خائنة وعشيق فاجر .

٧ ـ رجل تعرفت إليه وكان طاعناً في السن ، وعندما تبادلنا الحديث قال لي: أنا أؤمن بالاختلاط ، وإنّ الاختلاط بين الرجال والنساء أمر طبيعي ، وإنه ينتقد زوج ابنته؛ لأنّه متديّن يعزل النساء عن الرجال ، وبطبيعة الحال كانت لي معه محاضرةٌ كبيرة.

علمت منه أنه نشأ في فترة الاستعمار الفرنسي لسورية ، وكان يخدم في جيش المحتل الفرنسي ، وقد عشق الحضارة الفرنسية والمبادئ الأوروبية ، وبعد أن رجعت إلى قصّة حياته علمت التالي:

لقد تزوج هـٰذا الرجل في شبابه بامرأةٍ على قدر كبير من الجمال الحسن ، وكانت ترتدي خماراً ، متأدّبة بآداب الإسلام ، ولكن ذلك الرجل الفاجر أخذ يعرّفها إلى أصدقائه؛ يقيم في داره حفلاتٍ للسمر والتعارف ، فما كان من هـٰذه المرأة إلا أن تراجعت رويداً رويداً ، ثم بعد فترة زمنيّةٍ أنجبت له أربعة من الذكور ، ثم انتقل عمله إلى الساحل السوري وأثناء إقامته في الساحل واستمراره على تطبيق المبادئ الفرنسية التي يقدّسها ، علم أن زوجته قد هربت مع قبطان سفينةٍ مصري ، وذلك أثناء الوحدة بين سورية ومصر ، ثم علم أن هـٰذا الرجل أخذها إلى داره وأخذ يفجر بها حتى تململ منها ثم عاد فسرّحها ، فعادت إلى زوجها مرغمةً ذليلة فطردها من داره بعد أن طلّقها ، ثم اكتشف أن كلاً من أولاده يشبه صديقاً من أصدقائه الأربعة.

فجاءت بأوّلهم شاباً طويلاً أبيض أشقر ، والثاني شاب نحيل أسمر ذو شعرٍ أجعد ، والثالث شاب طويل أبيض كحيل العين أسود الشعر ، وجاءت بالرابع على شكلٍ آخر ، وعند المقارنة وجد أنّ كل ولد من أولاده يشبه صديقاً من أصدقائه.

ثم علم بالأدلة والبراهين أنهم كانوا يختلسون فرصة غيابه عن المنزل فيتسللون إلى داره ، ويقدّمون لزوجته الهدايا ، ويمارسون معها الجنس. فهـذه هي نتجية تطبيق الحضارة الفرنسية وتقديس هـٰذه الحضارة!

والعجب كلّ العجب من هـٰذا الإنسان أنه وبعد أن انكوى بهـذه النار مازال يدافع عن الاختلاط ، ومازال يدافع عن ذلك التسيّب ، ويقول لي: هكـذا تربينا وهكـذا عشنا وهكـذا سوف نحيا وهكـذا سنموت ، ثمّ انتقل إلى رحمة الله تعالى (ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم).

٨ ـ كان هناك شخص يؤمن بالثقافة الأوروبية ، وهو ضيّق ذات اليد ، فشاءت الأقدار أن يختار فتاة حسناء جميلة ويتزوجها ، وشاء الله عز وجل أن تسكن هـٰذه الفتاة في بيت أهل زوجها وتحتكّ احتكاكاً مباشراً مع إخوانه الشباب وأخواته الفتيات ، وكان ذلك المسخ الأوروبي يحظر على زوجته أن ترتدي حجاباً ، بل إنها كانت عروساً فاتنة شديدة الجمال تتزيّن كل زينتها ، وتلبس أضيق ما عندها وأكثر ما يثير الغرائز وتجلس بين إخوانه الذّكور ، وبعد مضيّ الأيام أنجبت مجموعة من الأبناء ، والمراقبون ينسبون كل ولدٍ من هؤلاء الأولاد إلى أخٍ من إخوانه ، ومازال صاحبنا يضحك كالحمار ويأكل كالخنزير ، ويتفاخر بتقاليده الأوروبية[1].

٩ ـ رجل يعشق الثقافة الأوروبية ، ويقدّس الثقافة الأمريكية ، عاش في مجتمع العرب والإسلام ـ ولكن هل حقاً هـٰذا المجتمع يسمى الآن مجتمع العرب والإسلام؟ ـ تزوج فتاة وأنجب منها مجموعة من الأبناء ، وكثر هؤلاء الأبناء ، وهو يعيش حياةً أوروبية مليئة بالحفلات والاختلاط والسهرات ، وبعد ذلك قرر آلا يزيد من عدد هؤلاء الأولاد ، فلجأ إلى الأطباء فكشفوا عليه ثم قالوا له: إنك أصلاً لست قادراً على الإنجاب ، فتعجب هـٰذا الرجل تعجّباً شديداً ، وقال: لي خمسة من الأبناء ، فقالوا: إنّك طبياً عاجز تماماً عن الإنجاب ، فذهب إلى طبيبٍ آخر ثم طبيبٍ ثالث ورابع وخامس وسادس ، ثم عقد (كونسيلتو)[2] من الأطبّاء ، فأجمع هؤلاء الأطباء على أن ذلك الرجل عقيم ويعجز عجزاً تامّاً عن الإنجاب ، وعند ذلك عاد إلى زوجته ، وتحت

---

(١) دراسات ميدانية.

(٢) كونسيلتو: مجموعة من الأطباء يدرسون الحالة ويصدرون قراراً مشتركاً.

الضغط أقرَّت واعترفت أنَّها عرفت في حياتها الزوجية معه الكثير من الرجال ، وأنَّها لا تعلم هؤلاء الأبناء إلى من ينتسبون؟!

وكان صاحبنا قد بلغ من السن خمسين عاماً ، وقد أنفق على هؤلاء الأبناء حتى غدوا شباباً ، فما كان منه إلا نزع بنـوَّة هؤلاء الأبنـاء عنه ، وبـاع منزلـه ومتجره وهاجر إلى تركيَّا ولا نعلم عنه الآن شيئاً.

فهنيئاً له بهـذه المبادئ الأوروبية ، وهنيئاً له بهـذه الثقافة الأمريكية.

١٠ ـ كان صاحبنا جالساً عند أحد قضاة المملكة العربية السعودية ، فشاهد امرأةً تتردّد باللّجوء إلى هـٰذا القاضي فتقف على بابه ثمّ تغادره استحياءً لتقتنص فرصة يكون فيها ديوان هـٰذا القاضي خالياً من الناس.

وعندما سأل صاحبنا هـٰذا القاضي عن قصَّة هـٰذه المرأة تنهّد نهدةً عميقةً ثمّ قال: لقد كان لهـذه المرأة ابن وكان مدمناً على المخدِّرات (وهـٰذا جزء من الحضارة الأوروبية والثقافة الغربية) فكان كلّما أتى إلى هـٰذه الأم طالبها بقليل من المال وكانت تعطيه ، وإذا أبت إعطاءه في يومٍ من الأيام مالاً ، ضربها ضرباً مبرّحاً فتؤدي إليه المال.

وفي يوم من الأيّام تناول جرعةً من المخدّرات ثم جاء إلى أمه ، فقالت له: لا تضربني يا بنـي ، سأعطيـك والله ما تريد من المال ، فقال لها: يا أماه ، إنني اليوم لا أريـد مالاً ، إنّمـا أريد أن أفجر بك ، وقفز على أمّه ومارس الزنى غصباً عنها ، وهي تستفتي القاضي وتقول له: ماذا أصنع في مثل هـٰذه الحال؟.

نعم: إن المخدّرات ثقافة أوروبيةٌ وأمريكية أخذت تنتشر في بلادنا انتشاراً كبيراً.

ونوجّه برقية شكر وتقدير وتقديس لرعاة التربية في بلادنا ، ورعاة التعليم على شتى مستوياته ، لحرصهم على زراعة هـٰذه التقاليد الأوروبية ، وحرصهم على تنشئة مجتمعاتنا العربية والإسلامية تنشئةً أوروبية أمريكية ، وأسأل الله عز وجل أن يرزقهم بمنزلٍ كريمٍ في وادي سقر (إنَّه مجيب الدّعاء).

وأسأل التوفيق لرعاة المسابح المختلطة والمراقص في بلادي ، فهم الذين يرفعون رايات الإيدز ، لجعلها شعاراً إسلامياً عربياً لا مجرَّد شعار أوروبي غربي أو آسيوي فحسب ، وأبشرهم بأنَّ الله عز وجل سيسقيهم جميعاً من قيح وصديد فروج الزناة في نار جهنّم.

١١ ـ اجتمعت مع فتاةٍ في السابعة والعشرين من عمرها ، وعلمت أنها تأتي من شمال سوريا بحيث إنها تقطع ست ساعات أو سبع ساعات يوميّاً من أجل القدوم إلى دمشق ، وعلمت أنها تأتي لتتعالج في مشفى الكلية الواقع في دمشق فهي تعاني من قصور كلوي حاد ، وتحتاج إلى مرّتين أو ثلاث مرّات في الأسبوع لتغسل الكلى ، ومن المعروف أن عملية غسل الكلى تقوم على فتح وريد في يدها ، فيخرج كل دمها ليمر على آلة تنقيةٍ تنقّيه من حمض البول ، ثم يعود ذلك الدم إلى جسمها تارةً ثانية ، وفي اليوم التالي أو بعد يومين يفتح الوريد في يدها الأخرى ، وبعدها يفتح في قدمها ، ثم يفتح في قدمها الأخرى ثم يعودون إلى اليد الأولى التي فَتَحوها أوّل مرة ومازال الجرح لم يلتئم بعد ليفتحوه مرة ثانية ويتم الغسيل.

وتساءلت: ما هو السبب الذي يدفعها لقطع هـٰذه المسافة الشاسعة من أجل عمليّة غسل الكلى ، فتبيّن لي أن غسل الكلى يتهافت عليه أعداد كبيرة من الناس ، ولا سيما من الشباب والفتيات ، وأن المشافي العامة عاجزة عن تغطية حاجة ذلك الكم الهائل من المرضى الذين يزدادون يوماً بعد يوم.

وعلمت أنها تقف في طابور ، تارة تستمر واقفة عشر ساعات من أجل أن يصل دورها ، وبعد ذلك ذلك سألت أحد الأطباء عن الأسباب الرئيسية للفشل الكلوي ، فقال وهو يتكلم بثقةٍ كاملة: إن أغلب أسباب الفشل الكلوي ناتجة عن العلاقات الجنسية غير الشرعية ، فإن جهاز الكلى يقع في مؤخرة الجهاز التناسلي ، فكل ما يصيب الجهاز التناسلي يسري إلى الكلى ويصيبها بالتهابات[1] ، وما تلبث هـٰذه الالتهابات أن تتطوّر إلى التهابات مزمنة ثم

---

(١) مجلة طبيبك ع ٣٥٢ ـ ص: ٥٤.

تتحوّل إلى قصورٍ كلوي ، ولا سيما إذا استمر المريض بممارسة هـٰذه العلاقات غير الشرعية.

وبعد ذلك علمت أن هـٰذا الانتشار الكبير لهـذا المرض لم يكن منتشراً سابقاً في بلادنا العربية والإسلامية بهـذه الكثرة.

أما في أيامنا الحالية فنتيجة إقبال الناس على التقاليد الأمريكية والأوروبية في معيشتهم انحلّت القيم الأخلاقية وابتعدوا عن الإسلام، فأصبحوا عرضةً لذلك، فتذكرت حينئذ قول الرسول ﷺ: «ما انتشرت الفاحشة في قومٍ قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا»[1].

١٢ ـ كنت جالساً في أحد الأيام أمام إحدى الشاشات الفضائية ، وكانت هناك مقابلة تجري مع إحدى الطبيبات وتتكلم عن العلاقات الجنسية غير الشرعية ، ولا أراك الله هـٰذا المنظر ، فقد كانت الطبيبة التي تنصح الشباب المراهقين والفتيات المراهقات بالابتعاد عن هـٰذه العلاقات ترتدي لباساً قد بان من خلاله أغلب جسدها ، وتتزين الزينة الكاملة وتترقق وتتليّن في منطقها وكلامها وصوتها ، حتى إني شعرت أن هـٰذا اللقاء قد صنع خصيصاً لإثارة الغرائز لا لكبحها!

وأثناء هـٰذا اللقاء تخرج لك صوراً وأشكالاً من الدّعايات ، نساء عاريات يرقصنَ ويتمايلن. فهناك دعايات لأدوات التجميل ، وأخرى لقلع الشعر من الأقدام ، وكل ذلك يظهر جليّاً على شاشة التلفاز ، ثم يقولون بعد ذلك: عليكم أن تتقيّدوا بالقيم الأخلاقية. فممن يسخرون؟!.. هل يعتقدون أنَّهم يخاطبون حجراً أم أنهم يخاطبون مغفّلين!. يدّعون أنَّهم يسعون إلى تحقيق الفضيلة والنزاهة في المجتمع ، ثم يشكّلون حفلات راقصة مختلطة بين الشباب والفتيات في الجامعات تسمى حفلات التعارف!

فهل هـٰذا منطق ينطلي على حمارٍ صغيرٍ أجرب؟!.

---

(١) سنن ابن ماجه: حديث رقم ٤٠٠٩ ـ كتاب الفتن ـ باب العقوبات.

إنّ عقلية هـٰذا المخلوق الذي يوصف بالغباء لتضحك ساخرةً من هـٰذا الدجل الرخيص.

نعم إننا نحافظ على الفضيلة ، وندرس أبناءنا مادة التربية الإسلامية في المدارس ، ونفتح الملاهي الليلية ، ونبيح الخمور ، ونفتح المراقص ، وتخرج الفتيات إلى الشوارع عاريات ، ونحدث حفلات التعارف والاختلاط ، وننشئ صالات الديسكو ، ونغذي ونموِّل المسابح المختلطة ، ثم بعد ذلك نقول: نحن أناس نسعى لتحقيق الفضيلة!!

* * *